كلمات من الصحاح

في عاميّة أهل الفرات

وردت في كتيب

(التبغ في حياة الناس)

من تأليف الأستاذ عبد القادر عياش

أحب **دير الزور**، حاضرة الفرات، حيث رأى النور لأول مرة، وكانت على أرضها مدارج طفولته، وعلى شطآن الفرات مرابع صباه، فهام بها حبّاً، حتى غدا أريج ترابها يغذوه وعبير طرفائها ينشيه، ولما شبّ وفى دينه لوادي النهر العظيم، فوقف جهوده وما ورثه أو يجنيه من مال على خدمة هذا الوادي، ناشطاً في دراسة تاريخه، هاوياً جمع آثار من أقاموا فيه، دائباً على البحث والتنقيب عن عادات وتقاليد المعاصرين والغابرين من أهل الفرات، مدوناً ما يتجمع لديه من أعراف ومفاهيم تتصل بحياتهم الشعبية، فإذا صنفها أخرجها للناس في كتيّبات أطلق عليها اسم (**سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات**)، وقارىء هذه البحوث يجد فيها لمحات تاريخية عما ورثه أهل الفرات عن أسلافهم من عادات وتقاليد، كما يجد فيها صوراً رائعة ووصفاً ممتعاً لحياة الناس في بيوتهم وفي معايشهم، وفي مزارعهم وحقولهم الممتدة على شواطيء الفرات مصدر الخصب والثروة في كل من سورية والعراق.

ذلك هو **الأستاذ عبد القادر عياش** الذي تفضل وأهدى إليّ آخر ما أصدره من أبحاثه العديدة، وكان بعنوان (**التبغ في حياة الناس**) فاستمتعت بقراءة طائفة من المعلومات الطريفة عن تاريخ التبغ وبدء انتشاره في البلاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية ، وعن صناعته وأساليب تدخينه ، كما استمتعت بالاطلاع على طائفة من التقاليد التي يرعاها المدخنون عادةً ، وبشيء مما قيل في التبغ من شعر أو نثر ، وقد عثرت خلال أسطر هذا الكتيّب على معلومات لغوية ثمينة ، فقد جمع المؤلف الفاضل فيه ، الأمثال والأقوال التي يتداولها الناس في وادي الفرات فيما يتصل بمعاناة تدخين التبغ ، وفيها عدة كلمات عليها طابع العامية وهي في حقيقتها من الصحاح ، انتهى بها الاستعمال إلى معانيها الشائعة اليوم ، وقد التقطتُ مما ورد في الكتيب المشار إليه الكلمات التالية :

اللَّمْج ــ لُمْجَة

[ويسمى مضغ التبغ في بادية الفرات (لِمجَة) بكسر اللام ؛ ويسمى الماضغ (لَمّاج) بفتح اللام وفتح الميم وتشديدها ، وتسمى الماضغة (لَمّاجة) ، والفعل (لَمجَ يلمج) وبعض (اللَّمّاجات) تُبقي (اللمجة) ساعات في فمها ..] .

وفي الأمّهات :

اللَمْج : الأكل بأطراف الفم ؛ وقال الليث : اللَّمْج : تناول الحشيش بأدنى الفم . قال لبيد يصف عَيْراً :

يَلْمُجُ البارِضَ لَمْجاً في النّدَى من مَرابيع رياضٍ ورِجَلْ

وأول ما يطلع من النّبات تَلْمَجه لَمْجاً أي تَنْتِفه .

واللُّمْجة : ما يُتعلّل به قبل الغِذاء ، وقد لَمَّجْتُهُ ولَهَّنْته بمعنى واحد .

قال أبو عمرو : التَلَمُّج مثل التَلَمُّظ . ورأيته يَتَلَمَّج بالطعام ، أي يتلمّظ .

وقولهم : ما ذُقتُ شَماجاً ولا لَماجاً ، وما تَلَمَّجْتُ عنده بلِماج ، وهو أدنى ما يُؤكل ، أي ما ذُقت شيئاً .

واللامِجُ : اللاغِم ، وهو ما حول الفم .

وإذا كان (المضغ) لغةً : لوك الطّعام بالأضراس ؛ فإنّ (اللّمج) بالتبغ أولى ، لأن من اعتاد وضع التبغ في فمه ، إنما يتلمّج به تلَمّجاً ثم يَمَصّ نُقَاعتَه من اللعاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شَرِب ــ مَشْرَب ــ شَرّاب

[يطلقون على تدخين التبغ فعل (شَرِب) وعلى المُدخِّن (شرّاب) وجمعه (شَرّيبة) وعلى حاملة السيكارة (المَشْرَب)] .

وفي الأمّهات :

شَرِب الماء شَرْباً وشُرْباً : جرعَه ، والشِّرْب : الماء بعينه يُشْرَبُ . والشِّرْبُ أيضاً : وقت الشُّرْب ؛ والمَشْرَبُ : الوجهُ الذي يُشْرَبُ منه ويكون مَوْضعاً ، ويكون مصدراً . والمَشْرَب أيضاً : الشُّرْب نفسه .

والشَّرَاب : اسم لما يُشْرب ، وكل شيء لا يُمضَغُ فإنه يقال فيه يُشرَب .

والشَّرِيبَ كالشِّرِّيب وزن سكِّيت : المولَعُ بالشّراب ، والشّرّاب : الكثير الشُّرب كالشَّروب .

والمِشرَبَةُ : إناء يُشرَب فيه .

من هذا نجد أن الأصل في معنى (الشرب) هو جَرْع الماء ، ثم استعملت هذه الكلمة في كل ما لا يمضغ من السوائل ، ويوم عرف الناس التبغ (١) ، أنزلوا الدّخان منزلة السوائل فقالوا : (شُرْب الدخان) وإذا كان من الخطأ القول بأن الدّخان (يُشرب) فان إطلاق لفظة (المَشْرب) على ما يسميه البعض (المَبْسِم (٢)) يتلاءم مع ذلك الخطأ وهو صحيح مثل بقية الألفاظ المشتقة من فعل (شَرِب) .

---

(١) عندما عرف الناس التبغ في البلاد العربية أطلقوا عليه اسم (التتن) ، وقد أطلق مجمع دمشق عليه اسم التبغ أو الدّخان ، مقترحاً تسمية (السيكارة) بلفيفة أو لفافة ، وأطلق الأب أنستاس الكرملي على (السيكارة) كلمة دُخينة وعلى (السيكار) اسم دُخنة ، وأخيراً أقرّ مجمع القاهرة كلمة (التدخين) وأثبت المعجم الوسيط ما يلي : دخّن التّبغ ونحوه : أحرقه متعاطياً إياه (مج) .

(٢) المَبْسِم لغةً : الثَّغر . وعند بعض المحدثين : أنبوبة من خشب أو معدن أو نحوهما ، توضع فيها لفافة التدخين ، أو تُدخن بها النارَجيلة (المعجم الوسيط) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كَشَح

[يقولون : فلان (يكشح سيكارة) أي يدخن . ويقولون : خذ (كَشّح) أي دخن] .

وفي الأمّهات :

كَشَحتْ الرّيح فلانا : سَفتْ عليه التراب ، أو نازعته ثيابه ، وتكاشَحُوا بالسيوف : تكافحوا ، وكَشَحَ من المال ما شاء : أخذ مثل كَسَح ، وكَشَّحَ الشيء : جمعه وفرّقه كأنّه ضدّ .

ومن المجاز ـ على ما يظهر ـ استعمل العامّة فعل (كَشَح) بمعنى : بدّدَ ونفّخ ، أو دخّنَ .

عَمّر النفَس ـــ تَعْميرَة

[يقال (عَمّرَ نَفَس تنباك) لتدخينه أي أعدّه ، ويُسَمّي البعض النَفَسَ تَعْميرةً] .

وفي الأمّهات :

١ ـ عَمَرَ يَعْمُر ويَعمِر : بقي زماناً .

وحكى ابن الأعرابيّ : عَمَر ربَّه : عبَدَه ، وعَمَر البيت : خدمه ، والمعمور المخدوم .

وعَمَر اللهُ منزلك عمارة ، وأعمره : جعله آهلاً .

وعَمّرَه الله : أبقاه ، وعَمّر نَفْسَه : قدّر لها قَدَراً محدوداً .

وعَمّرْتُك اللهَ تعميراً : سألت اللهَ أن يطيل عُمرك .

وعَمّرَ الثوبَ : أجاد نسجه وأحسن غزلَه وليّنَه .

والعامة تقول : عَمّر بمعنى : بنَى ، وهذا المعنى لم يُسمع في الفصيح ولكن المتأخرين من العلماء أجازوه على سبيل المجاز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ – النَّفَس : خروج الهواء من الفم أو الأنف . والنَّفس : الجُرْعة . والنَّفَس : الفرج من الكرب .

ونَفَّسَ عنه تنفيساً ونَفَسا . فرَّج ، ونَفَّس كربتَه : كشفها .

وتَنَفَّس : استمدَّ النَّفَس فأدخله إلى باطنه وأخرجه .

وتَنَفَّسَ في الإناء : شرب من غير أن يُبنيه عن فيه .

ومن هذا نرى أنّ إطلاق تعبير (تعمير نَفس) من قبل العامة للدلالة على تهيئة (نارجيلة) لتدخينِ (التَّنباك) بها هو من قبيل المجاز المقبول ، وكذلك إطلاق لفظة (تعميرة) على المرة الواحدة من إعداد (النارجيلة) للتدخين بها ، كما أن إطلاق لفظة (النَفَس) على كامل مدة التدخين يعتبر مجازاً مقبولاً .

نَفَّض – مُنَفِّض

[يقولون : فلان (مُنَفِّض) من الدُّخان ، أي خالٍ منه] .

وفي الأمّهات :

أنْفَض القومُ : نَفَدَ طعامُهم ، مثل أرمَلوا ، وقومٌ نَفَضٌ : أي نَفَضُوا زادَهم ؛ وكأنهم نَفَضُوا مزاوِدَهم لخلوّها ، وانفَض مثل أرمَلَ وأقفَرَ ، والإنفاضُ : المجاعةُ والحاجة . وأنفضُوا زادهم : أفنوه : قاله ابن دريد وجعله متعدّياً .

وفي المُحْكم : نَفَّضَه تنفيضاً : نَفَضَه ، شُدِّد للمبالغة .

وعلى هذا فمن استهلك ما معه من التّبغ ، أو كان خاليَ الوِفاض منه ، فقد أنفَض ونَفَّض فهو مُنَفِّضٌ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مُقلّم ــ مُجلّم

[يقولون : (مُجلّم) أي ليس معه دخان] .

وفي الأمهات :

إنّما قيل للسهم قَلَم لأنّه يُقلَم أي يُبْرَى . وكلُّ ما قطعتَ منه شيئاً فقد قلمتَه ، من ذلك القَلَم الذي يُكتب به ، وإنّما سُمّيَ قلماً لأنّه قُليمَ مَرّةً بعد مرّة .

والقَلَمُ : الجَلَمُ ، وكلاهما صحيح .

وقَلَمَ الظُّفُرَ والحافر والعود يَقْلِمُه قَلْماً وقلّمه : قطعه وبَرَاه .

ويقال للضَّعيف : هو مقلوم الأظفار .

القلَمة : العُزّاب من الرجال ، وامرأة مقلّمة : أي أيّمٌ بغير زوج .

قال ابن الأعرابي : وخَطَب رجل إلى نسوة فلم يُزَوِّجنه ، فقال : أظنكنّ مقلّمات ، أي ليس لكنّ رجل ولا أحد يدفع عنكن .

وجَلَم الشيءَ : قطعه ، وجَلَم الشَّعرَ والصوف : جَزّه . وجَلَم الجزور (١) : أخذ ما على عظامها من اللَّحم .

وكأن أهل الفرات رأوا صاحب التبغ يَقْلِمُه مرةً بعد مرة ، فإذا أنفَض ، وصفوه بالمقلّم أو المجلّم مجازاً .

خَرِم ــ خَرْمان

[يقولون : فلان (خرمان) أي ليس لديه ما يدخّنه مع رغبة شديدة في التدخين] .

في الأمهات :

خرِم الرَّجلُ : تشقّق أنفُه ، وخَرِمَ أنفُه : انشقّتْ وثَرِتَه .

---

(١) تقول العامة في بلاد الشام : جَرَم اللحم للمعنى نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتخرَّمت وترةُ أنفيه ، قُطيع طرف أرنبته شيئاً لا يبلغ الجَدْع . فهو أخرم ، وهي خرماء .

ومن المجاز : اخترِمَ فلانٌ أي مات ، واخترمتهُ المنيَّة : أخذته .

ومنه أيضاً : الخَرْم في الشعر : ذهاب الفاء من فعولن .

ورأى النَّاس ـ على ما يظهر ـ من يفتقد التبغ ، وقد اعتاد تدخينه ، كيف يلوب أو يدوخ وكأن أنفه قد خرِم ، فاستسهلوا صيغة (خرمان) وزن (جَوْعان) ، فوصفوه بها ، وهي صيغة أدلّ على الحالة النفسية التي التي يعانيها أمثاله من صيغة (أخرم) .

لَقَعَ ـ لجعَهُ

[وفي الأقوال الشعبية : أول مضرته : لجعةُ النار بيدك ..]

وفي الأمهات : لقَعَت الحيَّةُ : لدَغت ، ولقَعَه بعينه : أصابَه بها ؛ والمعروف أن القاف تنطق عند كثير من أهل البادية جيماً ، فلقعةُ النار عند أهل الفرات : تعني : لذعة النار أي كيّها .

عدنان الخطيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net